

الرقعة والبكاء

272 - حدثني محمد قال ٧ حدثني مخول قال : .

جاءني بهيم يوما فقال لي : تعلم لي رجلا من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترصاه يرافقني ؟ قلت : نعم .

فذهبت إلى رجل من الحي له صلاح ودين فجمعت بينهما وتواطأ على المرافقة .
ثم انطلق بهيم إلى أهله فلما كان بعد أتانى الرجل فقال : يا هذا أحب أن تزوي عني صاحبك وتطلب رفيقا غيري فقلت : ويحك فلم ؟ فوا ؟ ما أعلم في الكوفة له نظيرا في حسن الخلق والاحتمال حدثني محمد قال : حدثني قد ركبت معه البحر فلم أر إلا خيرا .
قال : قلت : ويحك ! إنما يكون البكاء أحيانا عند التذكر يرق القلب فيبكي الرجل أو ما تبكي أحيانا ؟ قال : بلى ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جدا من كثرة بكائه قال : قلت : اصعبه فلعلك أن تنفع به قال : أستخير الله .

فلما كان اليوم الذي أراد أن يخرج فيه جيء بالإبل ووطئ لهما فجلس بهيم في ظل حائط فوضع يده تحت لحيته وجعلت دموعه تسيل على خديه ثم على لحيته ثم على صدره حتى واى رأيت دموعه على الأرض .

قال : فقال لي صاحبي : يا مخول قد ابتدأ صاحبك ليس هذا لي برفيق .
قال : قلت : ارفق لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم فرق .
وسمعها بهيم فقال : واى يا أخي ما هو ذاك وما هو إلا أنني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة .
قال : وعلا صوته بالنحيب .

قال لي صاحبي : واى ما هي بأول عداوتك لي أو بغضك إياي أنا ما لي و لبهيم ؟ إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين ذواد بن علبة .

و داود الطائي و سلام الأحوص حتى يبكي بعضهم إلى بعض حتى يشنفوا أو يموتوا جميعا .
قال : فلم أزل أرفق به وقلت : ويحك ! لعلها خير سفرة سافرتها .

قال : وكان طويل الحج رجلا صالحا إلا أنه كان رجلا تاجرا موسرا مقبلا على شأنه لم يكن صاحب حزن ولا بكاء .

قال : فقال لي : قد وقعت مرتي هذه ولعلها أن تكون خيرا .

قال : وكل هذا الكلام لا يعلم به بهيم ولو علم بشيء منه ما صحبه .

قال : فخرجنا جميعا حتى حجا ورجعا ما يري كل واحد منهما أن له أخا غير صاحبه .

فلما جئت أسلم على جاري قال : جزاك الله يا أخي عني خيرا ما طننت أن في هذا الخلق مثل

أبي بكر كان واﻻ يتفضل علي في النفقة وهو معدم وأنا موسر ويتفضل علي في الخدمة وأنا شاب قوي وهو شيخ ضعيف ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم .

قال : قلت : فكيف كان أمرك معه في الذي كنت تكرهه من طول بكائه ؟ .

قال : ألفت واﻻ ذلك البكاء وسر قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا أهل الرفقة .

قال : ثم واﻻ ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا وجعل بعضهم يقول لبعض : ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا والمصير واحد ؟ .

قال : فجعلوا واﻻ يكونون ونبكي .

قال : ثم خرجت من عنده فأتيت بهيما فسلمت عليه فقلت : كيف رأيت صاحبك ؟ .

قال : كخير صاحب كثير الذكر طويل التلاوة للقرآن سريع الدمعة محتمل لهفوات الرفيق فجزاك اﻻ عني خيرا